

الإسلام يقضى على أسطورة الذكّر!



الأحد 23 يناير 2022 12:58 م

عامر شماخ:

ما إن تستقبل وسيلة من وسائل الإعلام أو منصّة من منصّات التواصل الاجتماعيّ إلا وتجد من يهاجم الإسلام بزعم هضمه لـ«حقوق المرأة»، وكلما هدأت تلك الهجمات عادت من جديد أقوى وأشدّ ومعوم من وراء هذا التشكيك المتواصل الذي يستهدف بالأساس الأسرة المسلمة، ولعلّ تصريح أحد العلمانيين المحاربين لشرع الله بأن «المذيع الراحل» قد أفرد له حلقتين لدعم مبادرته «اخلعى حجابك» ليشير إلى أطراف المؤامرة المحليين الذين يعملون جميعًا بإمرة الرجل الغربيّ

والمستهدف من هذه السطور هم المسلمون الذين يجهلون شريعتهم ومن ثمّ يستمعون إلى أكاذيب هؤلاء المدلّسين ثم يرددونها دون تحرٍّ لحقيقتها ودون الالتفات إلى أغراض وكلاء الغرب في بلادنا... وما سنذكره ربما يكون تكرارًا لما قيل مرارًا حول إنصاف الإسلام للمرأة، لكنه تكرار لازم، وتذكّرة أسأل الله أن ينفع بها المسلمين...

لقد كانت الحضارات والديانات السابقة للإسلام تنظر إلى المرأة نظرة دونية، وتتفاوت تلك النظرة من عدم الاعتراف بأهليتها، إلى بيعها في الأسواق كأنها سقط متاع، أو تقديمها قربانًا للآلهة... كان من حق الزوج في الحضارة اليونانية تأجير زوجته أو إقراضها لمن يشاء، بل من حقه أن يعرضها في الأسواق؛ لأن المرأة عندهم لم تكن أفضل من بهيمة من بهائم الرجل!

وفي الحضارة الرومانية لم يكن للمرأة أى حقوق، أما الرجل فله كل الحقوق، فمن حقه بيع أبنائه، وقتل ابنته الأثني ومولوده المشوه... وفي الحضارة الفارسية كان للرجل حق التصرف في زوجته كتصرفه في ماله ومتاعه، فله -إن غضب منها- أن يقتلها، أو يبيعها، أو يسجنها في بيتها سجنًا أبدئيًا، كذلك له الحق في أن يتزوج بمن يشاء دون شرط أو تحديد عددٍ والمقام لا يتسع لسرد حال المرأة في باقى الحضارات والديانات الأخرى، لكنها لا تقل ظلامًا عما سبق!

ولما جاء الإسلام كانت المرأة فى أرضه كائنًا مهملاً، ليس لها حقوق، ولم يكن الرجل أن يسأل فى الجاهلية لِمَ قتلها أو أعزلها أو أهانها؛ لأن تلك أعرافهم التى توارثوها جيلاً بعد جيل، يقول «عمر»: «والله إن كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فىهنّ ما أنزل وقسم لهنّ ما قسم...»

لقد منع الإسلام وأد البنات؛ (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [التكوير: 8، 9]، ثم أعلن الحرب على العادات التى تحرّض على كراهية الأثني؛ (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [النحل: 58، 59]، وحبّ أتباعه فى البنات؛ «لا تكرهوا البنات فإنهنّ المؤمنات الغاليات»، ومنع التمييز بين النوعين؛ «اعدلوا بين أولادكم فى النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف»؛ والنحل: العطاء، والأولاد: البنين والبنات... ثم سما الإسلام بالمرأة وحافظ على كرامتها، ورقتها وجمالها، وجعل لها شخصيتها المستقلة، وألغى النظرة الشهوانية إليها؛ (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...) [الروم: 21]، وحذّرها جميع الحقوق الإنسانية، واعترف بكفائها التى لا تقل عن كفاءة الرجل...

وقد عرض القرآن الكريم كثيرًا من شؤون المرأة فى أكثر من عشر سور من سوره، عُرفت إحداها بالنساء الكبرى (سورة النساء) وعُرفت الأخرى بالنساء الصغرى (الطلاق)، بل بالغت شريعتنا فى الرفق بها فوضعت عنها أعمال المعيشة، ولم تلزمها بالاشتراك فى النفقة وتربية الأبناء خلافاً للشرائع والأنظمة الغربية التى سوّت بين النوعين فى الواجبات وميزت الذكر فى الحقوق

فالمرأة فى التصور الإسلامى: أحد شطرى النوع الإنسانى؛ (وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) [النجم: 45]، وهى كالرجل تمامًا فى التكاليف الدينية؛ (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: 97]، باستثناء بعض التكاليف؛ تخفيفًا عنها، ولو فعلتها فما عليها من حرج كالجهاد وحضور الجمع والجماعات، وقد رتب لها حقوقًا عدة: حق الميراث، الذمة المالية المستقلة، مشاركة الرجل فى الحياة الاجتماعية، الحق فى اختيار الزوج، حق المعاشرة باللطف، حق الخلع كما

للرجل حق الطلاق، الحق فى طلب العلم، الحق فى الإجارة، الحق فى العمل خارج البيت إلخ... وقد برأها الإسلام من كونها المسئولة عن عصيان آدم لربه، ونفى عنها النجاسة التى تحدّثت عنها الكتب السابقة، بل جعلها أحد جناحي الدعوة؛ إذ كانت «خديجة»، رضى الله عنها، أول من آمن من العالمين، وكانت «سمية» أول شهداء الإسلام، وكانت «أسماء» بطلة الهجرة...

لقد نالت المرأة المسلمة مكانة سامقة لم تنلها امرأة فى حضارة من الحضارات الأخرى بفضل إنصاف الشريعة لها حتى قال «قاسم

أمين»: «سبقت الشريعة الإسلامية كل شريعة أخرى فى مساواة المرأة بالرجل، فأعلن الإسلام حرّيتها واستقلالها يوم كانت فى حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، ومنحها كل حقوق الإنسان، واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل فى جميع الأحوال المدنية، من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها، وهذه المزاي لم تصل إليها حتى الآن بعض النساء الغربيات».

لقد حطم الإسلام أسطورة الذكر، الأنانى الذى طغى على الأنثى فحرمها حق الحياة الكريمة، مستغلاً قوته العضلية وإمكاناته الجسدية؛ حيث أكد الشرع أن الحياة لا تكون إلا بالطرفين، ولا تطيب إلا بالمعاملة الكريمة القائمة على الحبّ والاحترام، والمودة والسكن، خلافاً لما كانت عليه -ولا تزال- الحضارات الأخرى التى يصرُّ وكلاء الغرب على أن نقضى بها...

فالمراة الغربية التى يتخذونها قدوة ويتباهون بما نالته من «حريات جنسية» صارت «سلعة بلا ثمن».. لقد أفرزت تلك الحريات مصائب استعصت على الحل، وأنتجت مجتمعات مختلة تضج بالتفسخ والألم، فلم تعد هناك أسر، وإن وجدت فهى بلا رسالة، وهناك مئات المليارات تُنفق على آثار انفلات المرأة بلا جدوى...

لقد أدت تلك الحرية إلى أن فقد (80%) من فتيات أمريكا عذريتهنّ، (95%) من فتيات السويد لهنّ تجارب جنسية قبل الزواج، (51%) من نساء فرنسا يلدن قبل الزواج، وهذا ما يريده الإباحيون المخادعون الذين يتدثرون بلباس «حرية المرأة»، وهم أول من ينهش جسدها وينتهك حرّيتها